مجلة الحكمة للدراسات الفلسفية
Eissn :2602-5264 Issn : 2353-0499
المجلد 10/ العـدد: 02 (2022)، ص: 355 – 363

الحرية مقاربة بين النظرية والممارسة التاريخية العربية عند عبد الله العروي

حرشاش محمود[1]، جاري جويدة[2]
[1]مخبر مشكلات الحضارة والتاريخ في الجزائر-جامعة الجزائر mahmoud.harchache@univ-alger2.dz
[2]مخبر مشكلات الحضارة والتاريخ في الجزائر-جامعة الجزائر، djaouidadjari@Yahoo.fr

تاريخ الاستلام: 2022/03/22 تاريخ القبول: 04 /2022/04 تاريخ النشر: 2022/05/10

ملخص:

ارتبط وجود الإنسان عبر التاريخ بسعيه وراء تحقيق حريته والتعبير عنها ، ومرتبطا بكل مشروع تحديثي يطمح إليه كل مجتمع إنساني ، ولعل راهن المجتمعات العربية والإسلامية يعبر بوضوح عن السعي وراء تحقيق هذه الرغبة، وهذا ما جاء واضحا في كتابات الكثير من المفكرين العرب ،ولعل من أبرز المفكرين العرب المعاصرين عبد الله العروي ويبرز هذا الاهتمام من خلال إفراده مؤلفا خاصا بهذه المسالة تحت عنوان مفهوم الحرية، فبينلنا العروي أن الواقع الكلاسيكي العربي الإسلامي وان لم يطرح مفهوم الحرية بشكل دقيق كما هو الشأن في الفلسفة الغربية مع العصر الحديث إلا أننا نجد له تجارب في الجانب الفقهي والكلامي خاصة ،وأصبح حاضرا مع تأثر المفكرين العرب في العصر الحديث بمبادئ الليبرالية ، والسعي الى تطبيقها في واقع المجتمعات العربية في ظل الدولة الوطنية ، وما صاحبه من السعي وراء تحرير العقل ، رغم هذه المناداة الا أن مؤشرات تحرر المواطن العربي ظلت ضعيفة جدا مقارنة بالمجتمعات الغربية في نظر العروي ، وهذا ما جعلنا نطرح الإشكال الآتي : هل يمكن الحديث عن الحرية في الوضع العربي الراهن ؟ هل من إشارة إلى الحرية في الثقافة الإسلامية قديما ؟ ما علاقة الحرية بالدولة ؟ وكيف تنتقل الحرية من الشعار والنظرية الى الممارسة التاريخية في واقعنا العربي؟

الكلمات المفتاحية: الحرية ، التاريخية، الممارسة ،الدولة ، الليبرالية، عبد الله العروي

Abstract:

The existence of man throughout history has been linked to his quest to achieve and express his freedom, and is linked to every modernization project that every human society aspires to. Contemporary Arab thinkers Abdullah Al-Aroui, and this interest is highlighted by his writing a special book on this issue under the title. We find that he has experiences in the jurisprudential and theological aspect in particular, which became present with the influence of Arab thinkers in the modern era on the principles of liberalism, and the quest to apply them in the reality of Arab societies under the national state and the accompanying pursuit of liberating the mind, despite this call, but the indicators of the liberation of the Arab citizen It remained very weak compared to Western societies in Al-Aroui's view, and this is what made us pose the following problem: Is it possible to talk about freedom in the current Arab situation? Is there a reference to freedom in Islamic culture in the past? What is the relationship between freedom and the state? How does freedom move from slogan and theory to historical practice in our Arab reality?

Keywords: freedom, historical, practice, state, liberalism, Abdullah Laroui

المؤلف المرسل: محمود حرشاش

المقدمة:

يبين لنا استقراء التاريخ الإنساني أن وجود الإنسان ارتبط بسعيه وراء تحقيق حريته، والتعبير عنها في مختلف المستويات وشتى ابعاد حياته سواءارتبط ذلك بحياته الاجتماعية والأخلاقية أو السياسية وغيرها ،لذلك كان سؤال الحرية لصيقا بتاريخ الفكر الفلسفي ،ومرتبط بكل مشروع تحديثي منشود لكل مجتمع انساني ، ولعل راهن المجتمع العربي الإسلامي يعبر بشكل واضح عن ذلك السعي الحثيث وراء تحقيق تلك الرغبة ،وهذا ما عبرت عنه كتابات الكثير من المفكرين العرب سواء أكان ذلك مرتبطا بالعصر الحديث او الفكر العربي المعاصر ، ولعل من أبرز المفكرين العرب المعاصرين الذين ناقشوا مسالة الحرية عبد الله العروي ، وقد برز اهتمامه الواضح بهذه المسألة من خلال افراده مؤلفا خاصا بها تحت عنوان مفهوم الحرية ، فقد بين العروي من خلاله أن الواقع العربي الاسلامي التقليدي وان لم يطرح مفهوم الحرية بشكل دقيق كما هو الشأن في الفلسفة الغربية مع العصر الحديث،الا اننا نجد له تجارب وممارسات في جانبه الفقهي والكلامي خاصة ،لكن مفهوم الحرية اصبح اكثر حضورا ووضوحا مع تأثر المفكرين العرب في العصر الحديث بمبادئ الليبرالية ، والسعي الى تطبيقها في واقع المجتمعات العربية في ظل الدولة الوطنية وما صاحبه وراء السعي لتحرير العقل ،رغم هذه المناداة الا أن مؤشرات تحرر المواطن العربي ظلت ضعيفة مقارنة بمجتمعات اخرى في نطر العروي ، فهل يمكن الحديث عن الحرية في الوضع العربي الراهن ؟ هل من اشارة الى الحرية في الثقافة الاسلامية قديما ؟ ما علاقة الحرية بالدولة ؟ وكيف تنتقل الحرية من المفهوم الى التجربة ؟ أو من التنظير الى الممارسة التاريخية في نظر عبد الله العروي؟

الحرية جدل الشعار والنظرية :

مع العصر الحديث وبلوغ الليبرالية بمبادئها أوجها في العالم الأوروبي تسربت مبادئها الى العالم العربي كأداة لتحقيق تلك الحرية المنشودة للإنسان العربي ،سواء من ربقة الاستعمار أو من سلطان الدولة التي تراجعت أمامها طوبى الحرية ،أمام قوة مركزية الدولة واتساع نفوذها، وأمام انتقال الافراد من ذهنية الفردية الى الشخصية ،فأصبحت الحرية هي الشعار الوحيد للإنسان العربي من أجل تحقيق ذلك ، وكانت الليبرالية هي أحد الأدوات التي تحمل في ثناياها هذه الحرية ،فقد كانت مضامينها تعبر في نظر الانسان العربي عن ذلك الواقع المتأزم الذي يعيشه ويسعى للتحرر منه ،لكن العربي وهو يتلقف هذه الليبرالية لم يكن المتلقي الناقد ،فقد تعرف العرب على منظومة مكتملة في المرحلة الاخيرة من مراحل التطور الليبرالي ،تعرفوا على ليبرالية تحمل في طياتها آثار المراحل السابقة مرحلة عهد التكوين ومفهوم الذات ،مرحلة القرن الثامن عشر ومفهوم الفرد العاقل المالك مرحلة عهد الردة على الثورة الفرنسية ومفهوم المبادرة الفردية مرحلة نقد الديمقراطية الاجتماعية ومفهوم المغامرة والاعتراض. (العروي، 2017، صفحة 46)

يريد العروي هنا أن يؤكد لنا على أن العرب تلقوا تلك الديمقراطية دون تشريح أو فحص ، مما بين ذلك التداخل الواضح بين المفاهيم الاربعة المعبرة عن هذه الليبرالية ،ولعل من اكثر المؤلفات التي عبرت عن هذه الليبرالية وتداخلاتها كتاب الحرية لجون ستيوارت ميل ، والذي كان له أثر في الاوساط الفكرية العربية في عصر النهضة ،ولعل تأثر المفكرين العرب بهذا المؤلف ما كان يحمل من حرية الفرد ،يقول جون ستيوارت ميل :للفرد سلطان مطلق على نفسه وجسمه وفكره. (العروي، 2017، صفحة 47)

ان مارآه ميل في عصره هوترجيح كفة المجتمع أمام الفرد ،وان شعار الدولة في نظره هو ان تترك للفرد حرية الدفاع عن نفسه باعتباره كائنا عاقلا يحسن التصرف ، فعلى الدولة ان تقف الى حدود لا يمكن تجاوزها حتى لا تفقد الفرد حريته، وهذا ما جعل ميل يتخوف من سطوة الدولة على هذه الحرية يقول : لو كانت الإنسانية كلها مجمعة على راي عدا

فرد واحد فلا يحق لها ان تسكت الفرد المخالف لرايها ، كما لا يحق لذلك الفرد لو استطاع ، ان يسكت الإنسانية المعارضة لرأيه (العروي، 2017، صفحة 50)، ويريد ميل هنا أن يؤسس لضرورة النقاش والتأسيس لشخصية الفردية ، وذلك من اجل ضمان تطور وتقدم الإنسانية فما التراجع الذي عانته البشرية الا كان سببه الاستبداد ، وحيثما ظهر الاستبداد توقف التاريخ والتقدم (العروي، 2017، صفحة 51)، ولهذا السبب ينتقد ميل كل المجتمعات التي تقوم على التزمت وتقييد النقاش ، دون ان يقف عند مجتمع محدد ، ولعل من المجتمعات التي انتقدها ميل المجتمع الاسلامي ، ولعل هذه المرتكزات الليبرالية كان لها وقع كبير على المفكرين العرب الذين تاثروا بها اأما تأثر ، خاصة في العصر الحديث امثال الكواكبي وخير الدين التونسي ولطفي السيد وغيرهم ،فلم يقفوا عند قضية الحرية في الاطار الفلسفي او حول اصلها ومداها في نظر العروي، بل قاموا بوصفها والمطالبة بها .

ويرى العروي أنهم بذلك قطعوا حبل الاتصال مع الفكر التقليدي الاسلامي الذي كان يطرح قبل كل شيء مسألة اصل الحرية انهم لم يعوا تمام الوعي هذه القطيعة ، لكنها موجودة في كتاباتهم ، وهذه الظاهرة هي التي تلحقهم بالفكر الليبرالي الذي تميز قلنا بحصره مشكلة الحرية في اطارها السياسي الاجتماعي .... عبد الله العروي (العروي، 2017، صفحة 55)، ولعل هذا ما أكدت عليه الكثير من تعريفات الحرية للمفكرين العرب في عصر النهضة خاصة في المزج بين افكار ليبرالية وفقهية في تعريف الحرية يقول الطهطاوي : الحرية من حيث هي رخصة العمل المباح من دون مانع غير مباح ولا معارض محظور ... وتنقسم الى خمسة حرية طبيعية وحرية سلوكية وحرية دينية وحرية سياسية (الطهطاوي، 1972، صفحة 373، 374).وهذا التعريف في نظر العروي محاولة جاهدة للطهطاوي في التعبير عن الافكار الليبرالية في قوالب فقهية تقليدية ، كما تبين هذه النظرة للطهطاوي توفيقية بين تكوينه الفقهي وتأثره بمبادئ الليبرالية ، وذلك بتركيزه الواضح على مبدا الحرية ، ولعل هذا ما اتضح عند الكتاب اللاحقين في نظر العروي امثال الكواكبي في طبائع الاستبداد ، لقد كان هدف هؤلاء المفكرين العرب في نظر العروي هو البحث عن اثبات الحرية وتطبيقاتها ولعل هذه الميزة الاولى للمفكر العربي الليبرالي مقارنة بالليبرالي الغربي وربطها الاسلام باعتباره دعوة صريحة الى الحرية والانعتاق والميزة الثانية لليبرالي العربي هو محاولته في التأصيل للحرية داخل عمق المجتمع وكذلك داخل التاريخ الاسلامي فهو لا يشاطر ميل بان الليبرالية ارتبطت فقط بعصر النهضة الاوروبي ، وان هذه النهضة هي التي روجت للأفكار الليبرالية في المجتمعات العربية، بل ان تجلياتها واضحة في استقراء التاريخ الإسلامي واستحضار ابطاله ، لقد نظر العرب في نظر العروي الى الليبرالية كأداة من ادوات الحل ،لان هدفهم الاساسي كان اثبات الحرية وان ينعم الاغلب الاعم من الافراد بالحرية (انطوان سيف وآخرون، 2015، صفحة 278) باي لغة كانت ، فقد كان شعار الحرية موافقا لحاجات المجتمع العربي وانه له لهذا السبب لعب دورا ثوريا مهما جدا (العروي، 2017، صفحة 59)وهذا التبني لمبادئ الليبرالية واعتبارها حلا بدلا ان تكون مشكلة ضمن مآلتها التاريخية ، وهذا لم يكن أبدا عجزا في الأذهان او قصورا في الهمة في نظر العروي ،انما استجابة في رأيه لمتطلبات الحياة الاجتماعية ،انهم كانوا في حاجة الى ليبرالية متفائلة حازمة واثقة بذاتها فأولوا لليبرالية عصرهم المتشائمة الباهتة حسب رغبتهم (العروي، 2017، صفحة 63)فلم ينتبهوا الى تلك التناقضات التي كانت تحملها الليبرالية كونه لم يتمثل على نحو صائب هذا المسار الذي قطعته الليبرالية في الفكر الغربي (انطوان سيف وآخرون، 2015، صفحة 274)بقدر ما كان هدفهم هو التبرير لدعوتهم الى الحرية ،لقد ادى نقد الليبرالية في الفلسفة الغربية الى التأسيس للحرية كنظرية ، والذي انعكس بدوره على واقع الفكر العربي المعاصر الذي طرق باب نظرية الحرية الغربي متبعين في ذلك مختلف المناهج والنظريات التي تأثرت بها المدارس الفلسفية الغربية متبعين هذا المنهج او ذاك مستلهمين الهيجلية الماركسية او الوجودية او التصوف الاسلامي

(العروي، 2017، صفحة 91)، لكن رغم هذه المحاولات والمجهودات التي قام بها المفكرون العرب ممن وقف عندهم العروي امثال علال الفاسي وحسن حنفي ،الا ان القول بوجود نظرية في الحرية في واقع الفكر العربي يظل غير واضح لان مشكلة الحرية ظلت حبيسة الفلسفة التقليدية ، وان ما يهمنا نحن هو تمثل الحرية على ارض الواقع دون ان ينفي تلك المحاولات الحثيثة للمفكرين العرب سواءفي العصر الحديث او خمسينيات القرن الماضي من مختلف المحاولات في رفع شعار الحرية مع نداء الليبرالية ، دون التأكيد فقط على ان الليبرالية الغربية هي باعثة الليبرالية العربية ، وكذلك في الخمسينيات من القرن العشرين توفقت اوضاعهم مع نظريات الحرية ، المستحدثة منها والقديمة المفرغة في قالب جديد ، فتعاملوا معها تعاملهم مع الليبرالية ، أي قاموا بشيء من الترجمة والنشر وبشيء من الابداع وبشيء من الاكتشاف. (العروي، 2017، صفحة 91)

يبين العروي أن الليبرالية مواجهة لنظرية الحرية نتيجة ان الحرية كلما تضخمت في الفكر فقدت في الواقع ،لكن في مقابل دور النظرية ايضا هو الكشف عن ذلك التناقض الذي تتأسس عليه الحرية نفسها فهي توجد حيثما غابت وتغيب حيثما وجدت .يقول العروي فالنظرية من جهة لا يمكن لها ان تنفي ذاتها لتقف موقف الليبرالية وتأخذ الحرية شعارا بديهيا وليس في مقدورها من جهة اخرى ان تضمن وجود الحرية في التاريخ والمجتمع والدولة ،كل ما تقوله النظرية ان الحرية لكي تتحقق يجب ان تعقل ،ولكي تعقل يجب ان تطلق (العروي، 2017، صفحة 94) وهذا ما جعل نظرية الحرية رغم اهميتها الا انها تحمل في طياتها تفاهتها ايضا في نظر العروي.

الحرية كممارسة في الواقع الإسلامي التقليدي :

ان المستقرئ لواقع المجتمع التقليدي الاسلامي يجد ان الحرية وان لم تكن حاضرة كمفهوم في منظورها اللغوي والمنهجي اوالمنجز المعاصر الا اننا نجدها في ثنايا الممارسات الثقافية والتاريخية والاجتماعية لبنية هذا المجتمع ولعل اهم الدلائل التي استند اليها العروي ، المجال الفقهي مع الحضور الواضح في بيان حرية الانسان فلا تكتمل القيمة الانسانية للفرد الا اذا صار شخصا مكلفا ، وان يكون انضباطه مع القيم السماوية ، وقد ربط الفقه قضية الحرية بالعقل وبالتالي حضور التكليف ، فنجد الطفل او المعتوه خارج هذه الدائرة فرغم أن الحرية لديهم اوسع لكن البعد الانساني فيهم يظل ناقصا ، فربط الفقه الحرية بحضور العقل وان مستوى حضور الحرية في الذات الانسانية يكون بدرجة حضور العقل فيها ، فكانت الحرية بالتعريف اتفاق مع ما يوحي به الشرع والعقل الحرية حكم شرعي لكنه في الوقت نفسه اثبات واقع مدى قدرة الفرد على تحقيق العقل في حياته ، وهذا التطابق بين الشرع والحرية هو العدل الذي يقوم عليه الكون (العروي، 2017، صفحة 20)، فالمجتمع الذي كان حاضرا في المستوى الفقهي هو مجتمع مقسم الى أحرار ورقيق ، والأحرار في حد ذاتهم ينقسمون الى أكفاء ومحجورين وهكذا مما يعني ان مشكلة الحرية كانت واخذت حيزا واسعا في الاجتهاد الفقهي ، كما كان للحرية حضورقوي في الزاوية الاخلاقية والكلامية في المجتمع الاسلامي الكلاسيكي ، فقد ارتبطت حرية الانسان في الجانب الاخلاقي بقدرة الفرد على التخلص من الرذائل و التحلي بالفضائل يقول الغزالي ليس الهدف هو محو الطبيعة رأسا وانما الوصول الى الوسط بحيث يكون العقل هو الضابط (الغزالي، صفحة 54)كما كانت مسالة الجبر والاختيار في الميدان الكلامي الاسلامي أحد الميادين الذي حضرت فيه حرية الانسان وهذه الحرية التي اثيرت في المجتمع الاسلامي قديما كانت مرتبطة بالفرد ضمن أبعاده الاخلاقية في علاقته بأخيه الانسان وكذلك مع خالقه ونفسه على عكس الحرية التي تصورها القرن التاسع عشر المرتبطة بالتنظيم الخاص بالليبرالية ،كما اكد العروي ان هناك ادلة على رموز الحرية الناتجة عن الممارسة في واقع المجتمع الاسلامي التقليدي دون ان يعبر عنها بكلمة حرية ، فالبداوة في نظر العروي كانت احدى رموز

الحرية في ذلك المجتمع نتيجة لتلك القيم التي كان يحملها الرجل البدوي ،فالبدوي لم يكن خاضعا ابدا لتلك الاصطلاحية الانسانية ، فالبداوة هي رفض لجميع القيود المبتدعة خاصة اذا تجسدت تلك البداوة في الشاعر الصعلوك الذي يعتزل العشيرة ويجابه وحده قساوة الطبيعة فالشاعر البدوي هو دائما في عين الجمهور المعبر الحقيقي عن الاصالة العربية (العروي، 2017، صفحة 24) ولعل استقراء تاريخ المجتمع الاسلامي يتبين تلك الثورات داخل هذا المجتمع الرافضة للأوامر السلطانية نتيجة رسوخ البداوة في شعور واذهان ابناء ذلك المجتمع مما ترمز له البداوة لهم من الحياة المتحررة فللفرد اختياره الخاص (الصبار، 2017، صفحة 213) والانعتاق من كل سلطان يقول ابن خلدون ....لهذا كانت الاحكام السلطانية والتعليمية مما تؤثر في اهل الحواضر في ضعف نفوسهم وخضد الشوكة منهم ، بمعاناتهم في وليدهم وكهولهم والبدو بمعزل من هذه المنزلة لبعدهم عن احكام السلطان والتعليم والآداب (ابن خلدون، 1967، صفحة 222)فقد كانت لثورات البدو على الامراء اداة من ادوات رفع الاضطهاد والردع للاستبداد ، ورغم ان دلالة البداوة ، لا ترادف في القاموس الحرية الا ان بالنظر الى البداوة في سياقها التاريخي نجدها انها تدل على التحرر من كل القيود في العيش والتصرف فكما كانت البداوة رمزا من رموز الحرية في المجتمعات العربية التقليدية فقد كانت العشيرة ايضا اداة دور في المعارضة .لأوامر السلطان التعسفية وتضمن للفرد حقوقا معروفة ثابتة ان الفرد في نطاق المجتمع العربي التقليدي يفضل الخضوع للعادة الموروثة على اتباع الامر السلطاني. وقد ارتبطت هذه النظرة للفرد اتجاه السلطان بان العادات ثابتة مع الطبيعة ام الاوامر السلطانية فمتغيرة لذلك كانت العشيرة اداة مناهضة للدولة في واقع المجتمع الاسلامي الكلاسيكي فمحاولة الدولة تقييد الفرد واخضاعه كانت للعشيرة دور مناهضة الدولة في واقع المجتمع الاسلامي الكلاسيكي فمحاولة الدولة تقييد الفرد واخضاعه ، كانت العشيرة هي ذلك الافق الذي يمنحه الحماية والمحافظة على حقوقه الموروثة والمكتسبة وهكذا اذا كانت الدولة ترمز في غالب الاحيان الى العبودية فان العشيرة ترمز بالعكس الى ما يعارض تلك العبودية وما يحقق لنا نسميه اليوم الحرية (العروي، 2017، صفحة 26)بالإضافة الى ان رمز العشيرة كأداة للتحرر من السلطان كانت التقوى ايضا دليلا ورمزا من رموز تحرر المسلم من ابعاد شهوات النفس حيث لم ينظر الفرد المسلم الى الأوامر الشرعية أنها خارجية بل نظر الى ذلك باعتباره استجابة للجزء الاسمى في ذاته وهو العقل وهو تحرر بالنسبة للفرد النقي من عبودية الجسد والعادات فقد ارتبطت تجربة التقوى بالشعور بالحرية وكلما زادت تقوى الفرد زاد مستوى توسيع مجال تصرفه وتأثيره في المجتمع فكانت التقوى احدى رموز الحرية في المجتمع الاسلامي ولقد كان التصوف القائم على التجربة الفردية احدى رموز الحرية الواضحة في ذلك المجتمع حيث يتعلق بالانسلاخ من كل المؤثرات الخارجية الطبيعية والاجتماعية والنفسية . وهكذا تتقابل التجربة الصوفية والتجربة البدوية :ترمز البداوة الى حياة خارج القوانين الاصطناعية ، ويرمز التصوف الى حرية وجدانية مطلقة داخل الدولة المستبدة. (العروي، 2017، صفحة 28، 29)

لعل مما سبق وان لم يتعرض الواقع الاسلامي الكلاسيكي لمشكلة الحرية كما هو الشأن في شعار عصر النهضة والنظرية في الفكر العربي المعاصر الا ان الحرية وجدت برموز مختلفة قائمة على الممارسة ولعل الادلة الاربعة التي استند اليها العروي سواء اكان ذلك في دليل البداوة ودليل العشيرة وكذلك دليل التقوى والدليل الرابع وهو التصوف فان هذه الادلة الاربعة اكدت على ان المجتمع الاسلامي التقليدي عاش حلم الحرية وان لم يصطلح عليه بذلك مما يعني ان تجربة المجتمع الاسلامي في مجال حرية الفردية اوسع بكثير مما يشير الى نظام الدولة الاسلامي التقليدي. (العروي، 2017، صفحة 31)

راهن الحرية في واقعنا العربي المعاصر:

لقد حاول عبد الله العروي ان يدرس مؤثرات التحرر في واقع العالم العربي من خلال تحوله الى ممارسة فوجد ان الواقع العربي يميز فيه الحاكم بين هذه المؤثرات جاعلين مؤشر علم السياسة في المؤخرة وهو احدى مقاييس مدى توطين علم السياسة في البلاد العربية ، فلقد ميز عبد الله العروي بين ميادين ثلاثة وهي الاقتصاد ، علم الاجتماع والسياسة ضمن مؤشرات ستة تعبر عن هذه الميادين وهيمؤشر النمو الاقتصادي ومؤشر تقدم علم الاقتصاد ثم مؤشر استيعاب العرب لنتائج العلوم الاجتماعية الحديثة ومؤشر انتشار نمط الفكر العلمي في المجتمع واخيرا مؤشر المشاركة الفردية في الاختيارات السياسية ومؤشر توطين علم السياسة في البلاد العربية (العروي، 2017، صفحة 110)ويعيد العروي سبب تمييزه بين هذه المؤشرات هو ان الحكام في العالم العربي هم من ميزوا بين هذه العلوم فلا يحرجون من العلوم التطبيقية على غرار الفيزياء والطب والاقتصاد لكن في المقابل هم اكثر اعتراضا على العلوم الاجتماعية كالنفسانيات والسياسيات لذلك وجب التمييز بوضوح بين مؤشر علم الاقتصاد وعلم السياسة عند العروي وهذا ما انعكس على ارض الواقع في عملية البحث وما قدمه في هذه الميادين ، فنجد ان الجهود كلها موجهة الى تحقيق النمو الاقتصادي وهذا مؤشر ايجابي في نظر العروي لا يمكن التقليل من شانه وقيمته ، وهو في نظره ما هو الا انعكاس لتلك الدعوة الماركسية التي تاثر بها كثير من السياسيين و المثقفين العرب بينما نجد مؤشر علم السياسة لايزال بعيدا في نظر العروي مستثنيا في ذلك لبنا ن فالواقع يبين تلك البحوث التي تقوم في هذا الميدان اما انها مكتوبة في الغالب بلغات اجنبية ام منجزة في معاهد اجنبية ، وان تلك البحوث اكان اصحابها عربا او غير عرب تعطي مؤشرا ضعيفا لمشاركة الجماهير العربية في اختيارات الدولة غير ان الدليل الاوضح على ضعف المشاركة الفردية قي التخطيط السياسي هو بالضبط عدم ازدهار علم السياسة داخل الجامعات الوطنية العربية كما ان رموز ضعف مؤشر التحرر في الواقع العربي هو ان حضور الفرد في مختلف القرارات التي تقوم بها الدولة ضعيفة جدا ويعيد ذلك السبب الى ان القادة العرب يتخوفون دائما من الكشف عن الاسباب التي ادت الى انعدام مشاركة الفرد في القرارات السياسية ولا يقتصر الامر على الواقع السياسي فحسب (ادريس، 1998، صفحة 150) وهذا يؤكد في نظر العروي قوة المطالبة بالحرية وضعف مؤشرات التحرر

يصل العروي في ختام هذا التحليل انه لا يمكن القول بضعف مؤشرات التحرر في العالم العربي مقارنة بشعوب اخرى لكن الواقع العرب لم ينفك عن هذه الدعوة باعتباره جزء من التاريخ الانساني وتبقى تحقيق الحرية لا يكتفي فيه بالنظر الى زاوية من الزوايا والا انكرت في نظره ميزة الحرية البشرية ، كما يؤكد لنا العروي أنكل نظرة احادية الى الحرية تضعف حظوظ تحقيقها وتسهل النقد على اعدائها الصرحاء او المقنعين اما النظرية التي تخدمها على المدى الطويل فهي التي تعطي نفس الاهمية للشعار وللمفهومولسلوك لأنها هي التي تعمق الوعي بتناقضات التطبيق وبالتالي تكشف عن مراقي التحرر المستمر. (العروي، 2017، صفحة 117)

لماذا رفض بعض المفكرين العرب الحرية الليبرالية ؟

يرى طه عبد الرحمن على سبيل المثال وردا على مقدمات الحرية الليبرالية انها حرية منقوصة في ذاتها ويعود ذلك انها استندت الى القول بأن أساس الحرية يعود الى سيادة الفرد متناسية ان السيادة للحق سبحانه ، وان خيرات الطبيعة كلها تعود الى فضل الله علينا ، وان المبدأ الذي تأسست عليه الليبرالية والمتعلقة بالمبادئ الفردية في حرية التملك والمنافسة الحرة ، ينتهي بها الامر الى تسليم نفسها الى هذه السوق وحريتها التي آمنت بها "وهكذا فان الحرية الليبرالية بموجب قانون التذكر ، عادت على نفسها بالنقض ، فتحولت الى لا حرية" (طه، 2012؛ الرحمن، 2012)، كما ان التنافس

الليبرالي في مخالفة قانون التأنيس جعل حريته حرية مبتورة ، فنزلت الى التنافس على القيم المادية والاسراف والجشع وغياب القيم الروحية فنزلت بالإنسان الى رتبة السلع التي تباع وتشترى في سوق الشغل كما في سوق الاستهلاك وسوق الرساميل

وأما عن مخالفة قانون التناهي التي تجعل من الحرية الليبرالية حرية موهومة ، فان الليبرالية تتصور أن المتمتع بها فرد سيد على نفسه ، مالك لزمام أمره ، يبرم مع غيره ، بمحض اختياره ، العقود التي تخدم مصالحه ، والحال أن الحرية بهذا الوصف لا تحقق له في الواقع " (سؤال العمل)مبينا في ذلك ان الفرد محاط بمختلف الاكراهات الخارجة عن رادته ، ورغم تظاهر الفرد في هذا النظام بأنه قادر على الاختيار الا انه يجد نفسه تحت دائرة الاضطرار ، واذا كان السوق هو محل الحرية في أنه هو نفسه العبودية التي تجلبها لنا الحرية الليبرالية (الرحمن، 2012)كما ان من المآخذات على عبد الله العروي في مسألة الحرية أنه جعل منها مسألة تاريخية مفتوحة النقاش ولم يعطيني حلا واضحا في تطبيقها في نظر بعض المفكرين العرب كما ان ربطه لها بالفرد يجعل مآلها مناقضا لها وبالتالي فهو يتحدث عن مسألة التحرر وليس الحرية ولعل هذا ما تميز به كتابات العروي عموما حيث تقوم على جعل خيارات الحلول مفتوحة .

الخاتمة:

من خلال ما سبق يمكن القول ان راهن الحرية في الواقع العربي اليوم ضعيف ، وهذا الضعف يعود الى ضعف مؤشرات التحرر ولعل من الاسباب الكامنة وراء ذلك هو ضعفهاعند العرب في مستوى هذه المؤشرات خاصة الاجتماعية والسياسية منها ، واهمال الفرد وتحجيم دوره في المشاركة في مختلف القرارات الاجتماعية والسياسية التي تقوم بها الدولة ويعيد العروي سبب ذلك الى عرقلة انتشار العلوم الاجتماعية والقيم الفردية وان حقيقة التحرر في نظر العروي هي ان تقوم الممارسة وان لا نكتفي بالتنظير بالإضافة ان مقياس تحرر الشعوب لا يجب ان ينحصر في المؤشر الاجتماعي او الاقتصادي او السياسي فقط بل ان مقياس تحرر الفرد يكمن في كل ذلك كما لا ينكر العروي تلك الاجتهادات التي رفعت شعار الحرية في العصر الحديث بمبادئها الليبرالية الغربية لان في نظره ان العرب في تلك المرحلة لم ينظر الى الليبرالية نظرة نقدية في مآلاتها التاريخية بقدر ما كان همهم هو التحرر من واقعهم التاريخي المتأزم على مستوى حرية الفرد والمجتمع دون الحكم على ان الباعث لليبرالية العربية هو الباعث الليبرالي الغربي فقط ،وكذلك في مستوى نظرية الحرية في مطلع الخمسينات من القرن الماضي مجرد انعكاس لنظرية الحرية في الفلسفات الغربية كما انتقد عبد الله العروي فكرة نفي الحرية في المجتمع الاسلامي التقليدي ورأى ان ذلك المجتمع وان لم يطرحها بنفس رؤية عصر النهضة الاوروبي الا انه عاشها على مستوى ممارسته اليومية ولعل من ابرز الميادين التي تجلت فيه هذه الممارسة ما عاشه في الفقه من خلال مسالة التكليف ومسالة الجبر والاختيار في علم الكلام ، ومن رموز الحرية الحاضرة في المجتمع الاسلامي التقليدي البداوة وماكانت تحمله من معاني الانعتاق والتحرر من كل القيود وكذلك العشيرة وما كانت تقوم عليه من رفض للأحكام السلطانية وكذلك ما عاشه المسلمون في جانب التقوى باعتباره تعبير عن التحرر من كل الشهوات وماعاشه المتصوفة من الحرية الوجدانية وامام استبداد الدولة كل هذه المظاهر دلت على الحرية كممارسة في المجتمع الاسلامي الكلاسيكي ويدعو العروي الى أن قضية الحرية يجب ان تظل دائما موضوعا للنقاش والا ينحصر فقط باعتبارها تساؤلا اكاديميا ، بل يجب اعتبارها جزء وضرورة من ضرورات الحياة اليومية للفرد ، وان الوعي بقضية الحرية هو منبع الحرية نفسه ، لكن ما نستطيع الوصول اليه مع عبد الله العروي انه لم يعطي لنا مقاربة واضحة وحلا كذلك أيضا بل جعل من مسألة الحرية مسألة تاريخية مفتوحة على

النقاش مما جعلها قضية تحرر وليست حرية ولعل هذا جعل البعض من المفكرين العرب يرون أن كتابات عبد الله العروي تطرح لنا اشكالات بحلول مفتوحة .

قائمة المصادر والمراجع:

1. ابن خلدون. (1967). *المقدمة*. بيروت: دار الكتاب اللبناني.
2. ابو حامد الغزالي. *احياء علوم الدين، باب قبول الاخلاق للتغيير*.
3. انطوان سيف وآخرون. (2015). *هكذا تكلم العروي* (الإصدار ط1). بيروت: منتدى المعارف.
4. خديجة الصبار. (2017). *الحداثة في المشروع الفكري لعبد الله العروي، المغرب* (الإصدار ط1). الدار البيضاء: المركز الثقافي للكتاب للنشر والتوزيع.
5. رفاعه الطهطاوي. (1972). *المرشد الامين ضمن الاعمال الكاملة، بيروت*. بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر..
6. طه ، عبد الرحمن. (2012). *سؤال العمل* (الإصدار ط1). المغرب: المركز الثقافي.
7. عبد الله العروي. (2017). *مفهوم الحرية، الدولة، الايديولوجيا* (الإصدار ط1). الدار البيضاء، المغرب: المركز الثقافي للكتاب للنشر والتوزيع.
8. هاني ادريس. (1998). *مؤتمر نحو مشروع للنهضة العربية في القرن الحادي والعشرين* (الإصدار 20). الكلمة.